

# دراسة لستيغن شاهي النهضة العربية...

لعلها المرة الأولى التي يصدر فيها كتاب عن التصوير ذو طبيعة إقليمية، وفي الوقت ذاته يتعامل مع هذا الفن من منظور دوره الاجتماعي في بلاد العرب العثمانية. هذا ما فعله ستيغن شاهي في كتابه الموسوعي

The Arab Imago: a social history of portrait photography - 1860 - 1910.

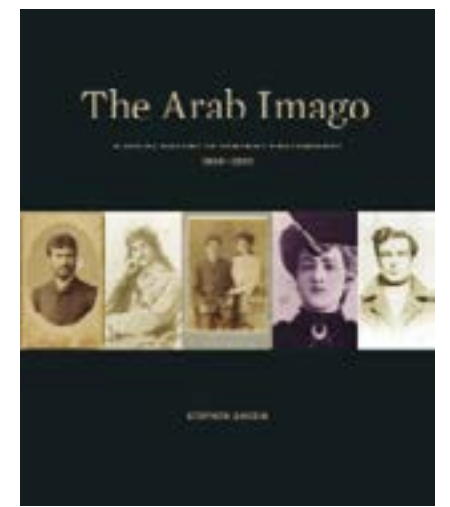
المستقبل الغامض في المنطقة التي تعج بمختلف أشكال الصراعات والحروب الداخلية، وتلك التي يديرها الاستعمار من الخارج، ورغبتهم في المحافظة على ما تبقى لهم من ذكريات شخصية خاصة.

قسّم الكاتب عمله الموسوعي إلى مقدمة (توطئة للتصوير الأهلي) تسبق جزءين يضمنان ثمانية فصول. يتفحص الجزء الأول (التاريخ والممارسة) مصوري التوارخ الخاصة (Indigenista) ويحدد ماهية بورتريه النهضة ومحتواه الفكري. ومن هذا المنظور، فإنه يبدأ باستعراض أكثر استديوهات الإمبراطورية العثمانية شهرة. هذا الجزء يضم أربعة فصول تتعامل مع بدايات التصوير في «شرق المتوسط» العثماني (نفضّل هذا المصطلح و«جنوب المتوسط» على «الشرق الأوسط») الاستعماري السائد، علماً بأن فضل اجترار الأخير يعود إلى كاتبة أميركية سبق لنا عرض مؤلفها في هذا المنبر).

الفصل الأول في هذا الجزء يحمل عنوان «إمبراطورية الصور - الأخوان عبد الله (فرير) و«أيدولوجية العثمانيليك»، والفصل الثاني «التصوير العربي - جرجي صابونجي وصوره المنظر النهضوية»، والفصل الثالث «البطاقة الشخصية (VC) - اجتماعية الرجال والنساء الجدد». أما الفصل الرابع والأخير فيحمل عنوان «كتابة التصوير - المادية التقنية والحقيقة بحد ذاتها (أو الحقيقة تصنع نفسها)» (Technomateriality and the verum). ويشرح الكاتب ما يقصده بالتعبير الأخير بالقول إنه الإدراك الذاتي بأصولها التكنولوجية والتصميم وأصولها العلمية.

أما الجزء الثاني «تحليل طوري والنظرية»، فقد خصصه الكاتب للحديث في دراسة محددة، مركزاً على قراءة بعض الصور الشخصية التي تظهر صحة التحليلات التي أوردتها في الجزء الأول. هذا الجزء يضم أيضاً أربعة فصول هي: «درب البورتريه: اجتماعية الصورة الشخصية»، و«بورتريهات تثبتية، وتثبيت الحدأة»، و«المكثون وما بعد الصورة»، وأخيراً «مرأة ثلاثينيات وخاتمة» عن الطرف المحدد للتصوير العربي-العثماني.

ينوه الكاتب إلى أن أول مصور عربي كان محمد صادق بي (1832-1902) وهو أيضاً أول من صور طرق الحج من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة في عام 1861. وهو كان الأول، عالمياً، الذي صور السكان والحجاج وبيروقراطيي الدولة العثمانية والأمكنة المقدسة في المدينتين. في الوقت نفسه، فإن محمد صادق بي كان أول من درس تضاريس الحجاز ووضع المقاييس



## زياد مني

القارئ المهتم، يعرف بوجود أعداد كبيرة من المؤلفات عن تاريخ التصوير في العالم، ودور ذلك الفن والعلم في تاريخ حقب تاريخية وأحداث، و«تجميد» الماضي. لكنها المرة الأولى ربما، التي يصدر فيها مؤلف عن التصوير ذو طبيعة إقليمية، وفي الوقت ذاته يتعامل معه من منظور دوره الاجتماعي في بلاد العرب العثمانية. «الصورة العربية - تاريخ اجتماعي للصورة الشخصية (البورتريه) - 1860-1910» (منشورات جامعة برنستون - 2016)، عمل نظري محض، لكنه يستعين بمصورات كثيرة (75 صورة) حصل عليها المؤلف ستيغن شاهي، رئيس قسم السلطان قابوس للدراسات الشرقاوسطية في «كلج وليم أند ماري»، علماً أنه أصدر مؤلفاً آخر عن أسس الهوية العربية الحديثة. أما المصورات التي ننشرها هنا، فهي التي سمح الناشر (منشورات

الصور التي التقطها المستشرقون تعكس نظرهم الأيديولوجية للمنطقة

البورتريه بوصفه تشريعاً اجتماعياً وتكيفاً للتحول الاقتصادي السياسي

«جامعة برنستون» الأميركية) باستعمالها، بعد الحصول على موافقة أصحابها. لذا، فإن عرضنا هنا سيقصر - إلى حد كبير - على التعامل مع شروح الكاتب للمصورات المرفقة. في الوقت نفسه، فإن الكاتب يؤكد أن دراسته هذه تقتصر على الصور الشخصية التي تمكّن من الحصول عليها، محترماً حقوق أصحاب المصورات التي رآها، لكنه لم يحصل على حقوق نشرها من أصحابها، بسبب خشيتهم من

6



4



5



1



حدثنا عن استعمال التصوير وتوظيفه وقيّمته في النهضة العربية. هذه المقدمة التي تلخص أهم أفكار الكاتب النظرية، ضرورية لفهم توجه الكاتب والرسالة الأساس للمؤلف الذي يتجلى في الجزء الثاني من المؤلف. هنا، ينتقل لمقارنة أعمال صادق بي ومصورين عرب آخرين بالأعمال التصويرية لمجموعة من المصورين المستشرقين الأوروبيين والتقنيات التي كانوا يستخدمونها ومنهم على سبيل المثال نوبل بايمال ليربور، وغوستاف لو غراي،

«المنظر» بالإنكليزية perspective والمنظر الكامل العائد إلى عهد النهضة الأوروبية القائم على التوازن والتناسق، كما يختلف، دوماً وفق الكاتب، عن آراء الكندي وابن الهيثم. «المنظر» لدى صادق بي كان موقفاً فكرياً ومرتبياً. بالتالي، فإن تفاصيل أعمال صادق بي العلمية لم تكن فقط جزءاً من مشروع والي سعيد التحديتي الذي دعم المشروع مادياً وفكرياً، وإنما تعكس النهضة العربية أيضاً. لذا وجب النظر إلى أعمال صادق بي التصويرية والنظرية بوصفها مكوناً تاريخياً أكبر

فيها، إضافة إلى طرق الحج، ضمن بعثة مصرية. عمله هذا كان ضمن مشروع عثمانى لدراسة السكان وضبطهم، في المدن والأرياف. نذكر هذا لأن عمله هو الدليل لصدور التصوير في المجتمع العربي-العثماني، وتعثّر على تفاصيله في كتاب «نبذة في طريق اكتشاف طريق الأرض الحجازية» الصادر عام 1877. أهمية عمل محمد صادق بي تكمن أيضاً في أنه يدعونا إلى النظر في ما تم تجاهله في الماضي ألا وهو اهتمامه بعرض حديث للفضاء (space).

يشدد الكاتب على ضرورة تمييز